مسرح الفرجة الشعبي

Al-Farajah Popular Theater

سعاد حميدة

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف_ ميلة_hamidasouad@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/5/6 تاريخ القبول: 2021/09/20 تاريخ النشر: 2021/12/16

ملخص:

لقد كان المسرح على مر الأزمان لغة للشعوب، بها تعبر عن احتياجاتها وآمالها، كما يعد أحد أهم وسائل التثقيف والتحرر الفكري لديها، ولقد كان في بدايته عبارة على أشكال فرجوية شعبية منبعها التجارب الإنسانية المستمرة، فما مفهوم المسرح والفرجة؟ وما العلاقة بينهما؟ ما هي أهم الأشكال المسرحية الشعبية الفرجوية؟ وهو ما سنحاول ضبط في هذا المقال

كلمات مفتاحية: المسرح، المسرح الشعبي، الفرجة، الحلقة، المداح. الحلايقي.

Abstract:

Throughout the ages, theater has been a language for peoples, with it expressing their needs and aspirations, and it is also one of the most important means of education and intellectual liberation for them, and it was in its beginning a form of popular vacuums from the source of continuous human experiences, so what is the concept of theater and opening? What is the relationship between them? What are the most important folk theatrical forms Alvagh? Which is what we will try to adjust in this article.

Keywords: The theater; the popular theater; the watching; the episode**;** the maddah; Hallaqi.

مقدمة:

لطاما كانت الفنون الشعبية وعاء لحفظ عادات وتقاليد المجتمعات، كما كانت مرآة عاكسة لأنماط حياتهم وأساليب تفكيرهم، وآمالهم وآلامهم على حد السواء، فهي بحق ذاكرة إنسانية لتسجيل تفاصيل عيشهم، فالفن مظهر حضاري، لأن الفنان ذو صلة وثيقة بمجتمعه واللسان الناطق والمعبر عن طموحاته وآلامه، لذا فقد تعددت الفنون من ناحية الشكل والأسلوب لتوصل صوت الناس.

من أهم أشكال الفنون الشعبية نجد المسرح الشعبي الفرجوي، وقد حفل المسرح الشعبي العربي والمغاربي بالعديد من أشكال الفرجة الشعبية، استقاها من الطبيعة الاحتفالية في ثقافتنا، فمارسها الشيوخ والشباب على حد السواء، وقد أسعفهم في جذب المتفرجين وتعلق الناس بهذه الأشكال، ما يحضر فيها من ممارسات حركية ومهارات جسدية وتعابير بليغة من قبل المتقمصين للأدوار، « كما تفجرت طاقة الحكي الشعبي الملتبس بخرافة أو أسطورة يشخصها اللاعب بمهارته بالغناء، أو بالإلقاء الموقع بمصاحبة آلة شعبية كالربابة أو الناي أو بالنقر على طبلة أو آلة إيقاعية، أو بتحريك العروسة أو بالتخفي وراء قناع حيوان»[1].

إن المجتمعات العربية والمغاربية لم تشذ عن القاعدة وشاعت فيها أشكالا مسرحية شعبية، كانت فيها الفرجة عنصر أساسي، ومن خلال هذا المقال سنحاول بسطها والتعرف عليها.

1_ تعريف المسرح لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظر أن« المسرح بفتح الميم مَرْعَى السّرْح، وجمعه المسارح، ومنه قوله إذا عاد المِسارِحُ كالسّباح، وفي حديث أم زرع له إبل قليلات المسارح، هو جمع مسرح وهو الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالغداة للرعي، قيل تصفه بكثرة الإطعام وسقي الألبان، أي أن إبله

على كثرتها لا تغيب عن الحي، ولا تسرح في المراعي البعيدة ولكنها باركة في فنائه، ليقرّب للضّيفان من لبنها ولحمها، خوفا من أن ينزل به ضيف وهي بعيدة عازبة»[2] .

وجاء في معجم" الوسيط" أن المسرح« مرعى السّرح، ومكان تمثل عليه المسرحية،(ج) مسارح(المِسْرَحة): المِسْرَح.(ج) مسارح، و(المسرحية): قصة معدة للتمثيل على المسرح »[3]، والمفهوم من هذين التعريفين أن المسرح هو مكان مقصود لأجل الترفيه عن النفس وتسليتها.

2_ التعريف الاصطلاحي للمسرح:

يعرف المسرح الدكتور" حسن لمنيعي" بقوله هو« فن تشخيصي يقوم على محاكاة الأفعال البشرية بالصوت والحركة، باستخدام الجسد كمادة أولية ومحورية للتعبير، وما يرتبط به من إشارات دالة على الزمان والمكان أمام جمهور حاضر »[4] .

كما يعرفه الباحث" أحمد إبراهيم" بأنه« نوع من الأدب المعد للتمثيل، أي أن يتقمص أشخاص ممثلون النص...وهذا ما يميز النصوص الدرامية عن غيرها من النصوص الشعرية والسردية، قابليتها للتمثيل والتقديم للجمهور من خلال عرض مسرحي تتعدد عناصره»[5] ، والواضح أن المسرح أساسه الأداء الذي يقوم به مجموعة الممثلين أمام جمهور المستمعين مع ارتباطه بجملة من العناصر كالزمان والمكان.

3_ تعريف الفرجة لغة:

يقول ابن منظور في لسان العرب أن« والفرجة: التفصّي من الهم، والفُرجة بالضم في الجدار والباب، والمعنيان متقاربان، والفَرَجُ: انكشاف الكرب وذهاب الغم»[6]، فالمفهوم أن الانفراج هو الراحة بعد الصراع والهم، ولعل اقتران المسرح بالفرجة هو وهب الراحة للمتفرج.

4_ تعريف الفرجة اصطلاحا:

يعرفها الدارس "أبو الحسن سلام" بقوله « الفرجة من الانفراج، وهي عكس الكبت، وعكس التأزم، والفرجة هي(الخلوص من الشدة، وعند المولدين اسم لما يتفرج عليه من الغرائب) وهي المشاهدة والانفراج شأنه شأن الأزمة، وشان الذروة عنصر من عناصر الحبكة في البناء الدرامي

التقليدي، والانفراج هدفه الكشف والتنوير والحل بعد وصول الأزمة لذروتها في أي حدث درامي تقليدي»[7]، فهذه الفرجة هي انتقال من حالة قلق وتأزم لدى المتلقي إلى حالة من الأريحية.

ويضيف الدارس" أبو الحسن سلام" أنه ومع بداية المسرح الفرجوي فإن شخصية المتلقي« تحلق مع الشخصية المسرحية في أحلامها، أو تشف عندما تشف الشخصية، ويحدث هذا الخروج أو الانتقال بالمتلقي من حالة إلى حالة أسمى وأرقى عبر عناصر التعبير الدرامي بالصورة المرئية وبالصورة السمعية أيضا... والفرجة تكون في كل ماهة غريب، فكل غريب مثير للفرجة»[8]، فالمسرح يقوم على الممثلين وعلى جمهور المتلقين وبالتقائهما يحدث التفاعل وتتحقق الفرجة.

فكان المسرح الفرجوي إذن هو تلك العروض التي كانت تقدمها وتؤديها الفرق الجوالة في الساحات العامة والشوارع والأسواق، تتكئ هذه الأشكال على المحاكاة والتقليد والتمثيل الهزلي.

5_ علاقة المسرح بالفرجة:

المسرح بالنسبة لأجيال عديدة كبرت وهي تعانقه ،أحد الوسائل التنفيسية عن المكبوتات وتحقيق التسلية في ظل صعوبة الحياة ومعيقاتها على مختلف المستويات، فهذا المسرح إنما « يتوجه إلى جمهور أغلبه من الأميين، يحاكي توجهاتهم، بمحاكاتهم باللهجة التي يفهمونها، ليوصل هدفا تعليميا ثوريا، فلغته قريبة من لغة المتلقي البسيط، وبذلك عدّ كلغة عالمية اجتماعية، مهمتها الوصول إلى كل طبقات المجتمع»[9]، ومتى ما دنا شكل أدبي من قضايا الناس وحاكى انشغالاتهم، استولى على اهتماماتهم وجذبهم إليه للمشاهدة والفرجة.

فهذه الفرجة هي من بين المؤشرات الدالة على« لحظات التوهج الوجدانين التي تندثر فيها الفوارق الاجتماعية بين الناس، لتتحول إلى شيء آخر كالزمالة المبنية على التجربة الجماعية المشتركة»[10]، فالمسرح الذي يحمل قضايا الجماعات بما فيها من آمال وآلام يحقق الفرجة وذاك هو سر العلاقة بينهما.

6_ أشكال المسرح الفرجوي الشعبي:

إن المسرح في أوسع معانيه هو« تقمص شخصيات حقيقية(الممثلين) لشخصيات خيالية أو خرافية(الشخصيات المسرحية)، أمام جمهور من النظارة»[11]، دون أن ننسى النص المسرحي،

وبتطبيقنا لهذا المفهوم للمسرح على بعض الفنون التي مرت بها حضارات الشعوب العربية على وجه الخصوص، سنجد أنها تدخل ضمن فنون المسرح التي حققت الفرجة على مدى أزمان ومازال بعضها لليوم قائما.

إن الفرجة تمتلك أشكالا مختلفة فقد يكون شكلا حلقيا وهنا على جمهور المستمعين أن يحيط بالعرض، ومنها ما يكون في مواجهة ثابتة أي في مواجهة العرض، ومنها ما يكون متحركا إما بالنسيبة للجمهور أو الممثلين معا، فيتغير المكان، وسنحاول التعرف على هذه الأشكال الفرجوية الشعبية.

أ_ خيال الظل:

يعرفه الباحث" مصطفى فائق" بأنه يعني « شكل من أشكال التمثيل غير المباشر فهو يتكون من دمى مصنوعة من الجلد المضغوط أو الورق، تحرك خلف ستار من القماش خلفه مصباح يعكس ظلال الدمى على الستار، ويحرك هذه الدمى صاحب الخيال، ويلقي في الوقت نفسه حوار التمثيلية التي تسمى الباية وأغانيها، ويشاركه في ذلك ممثلون آخرون»[12].

وعن وفود هذا الشكل الفرجوي للبلاد العربية، فإن ذلك كان من بلاد الهند والصين وقد لعب دورا مسرحيا مميزا في المجتمع العربي الإسلامي« ولاسيما القاهرة، حتى مطلع القرن العشرين ...وأهم المناسبات التي كانت العروض الظلّية، تعرض فيها مواسم الحج وموالد الأولياء، حيث يحتشد الصبيان والشبان والكهول، وهذه الجماهير على الرغم من اضطهاد بعض السلاطين لخيال الظل، هي التي عملت على استمراره وازدهاره، وهي التي أتاحت لبعض الأدباء أن يتخذوه وسيلتهم إلى التعبير والنقد الاجتماعي»[13]، ونستخلص مما مضى أن لبابات خيال الظل هدفين رسميين وأساسيين، حققا له الفرجة الشعبية لدى الجماهير وهما المتعة والتسلية ثم النقد الاجتماعي، وهذا الشكل المسرحي يكون فيه الجمهور ثابتا في مواجهة العرض.

ب_ مسرح التعزية:

هو نوع من المسرح الفرجوي الشعبي الذي عرفه العرب، بحيث يقوم على « تمثيل قصة استشهاد الإمام الحسين منذ دخوله العراق حتى استشهاده، يشارك في هذا الشكل المسرحي عدد كبير من الممثلين، الذين يؤدون أدوار الإمام الحسين، وشمر قاتل الإمام وأدوار ذويه وأولاده، ويرتدي

الممثلون الأقنعة والملابس، التي تمثل العصر الأموي، ويركبون الخيول ويحملون الأسلحة ويحرقون الخيام كما حدث في التاريخ، والمسرح في كل ذلك الأرض المكشوفة الواسعة بين الكوفة وكربلاء، وأحيانا يجري التمثيل في صحن الجوامع»[14] وهذا الشكل المسرحي وإن كان مقتصرا على بعض البلاد العربية دون أخرى، فهو يحقق فيها الفرجة والتأثير في جمهور المتفرجين.

ج_ المسرح الحلقوي:

تعتبر الحلقة من أقدم الفنون الأدائية في المغرب العربي، وهي عبارة على« تجمع دائري في إحدى الساحات العامة، يقف وسطه الراوي، يقص قصص البطولات والأساطير والحكايات الخرافية، بطريقة تمثيلية صرفة، تجمع بين التشخيص المباشر والإيحاء»[15] والتجمع الدائري يعود على طبيعة الشوقي، حيث يأخذ الراوي المكان الوسط، ويحيط به الناس كجمهور مسرحي.

وتعد الحلقة « ممارسة إبداعية أصيلة ومتوارثة...فهي تستثمر الموروث الإبداعي الشعبي وتقدمه في قالب فني حكائي أو استعراضي، يستقطب الجمهور المتعطش للفرجة والتسلية، أو الباحث عن التعويض النفسي والعاطفي، والهارب من جحيم الإكراهات والأزمات المادية...كما كانت الحلقة ملاذا آمنا ومغريا لكل عاشق للإثارة والبطولة، ولكل محب للسرد العجائبي والمحكيات الخرافية والأسطورية»[16] .

ويمكن أن نعدد فوائد هذا الشكل الفرجوي في النقاط الآتية[17] :

_ الإجابة عن بعض الأسئلة العالقة والقضايا الراهنة والمؤرقة.

_ تعد ملجأ للكثير من اليائسين ممن عجزوا عن مواجهة قسوة الحياة.

_ اكتسبت جاذبية كونها جاءت لحاجة اجتماعية قبل أن تكون حاجة فنية، فقد اهتمت بالعمق المجتمعي، والتصقت بقضايا الإنسان البسيط المهمش المحروم.

_ كانت الحلقة في زمنها المجيد مدرسة حقيقية لتلقين القيم الدينية والاجتماعية والوطنية، يتم فيها تمرير مجموعة من المواعظ الهادية والدروس البانية، كما يتم فيها تربية الوعي الديني والحس الوطني في نفوس الجماهير.

_ يقوم فن الحلقة على أساس الجمع بين المتناقضات، فهو فن وصنعة، وهو استثمار للواقع واستثمار للخيال، وهو حوار بين الجد والهزل، وهو مزج بين البسمة والعبرة، وهو فضاء للشكوى وفرصة للسخرية، وهو سرد لأحداث التاريخ وتمرير للخرافة، وهو استعراض للقوة واعتراف بالعجز.

_ كانت الحلقة كذلك شبه مصحة نفسية، تحقق للناس الامتلاء الروحي والإشباع النفسي والسكينة الداخلية، وتطهرهم من أمراض التوتر والخوف».

ولعل القيمة الكبيرة للحلقة تكمن في مشاركة الجمهور بشدة، أما فيما يخص الشخصية المركزية في المسرح الفرجوي الحلقوي، فهي شخصية القوال أو المداح أو المسمى الحلايقي بلهجة المغرب العربي والمسمى الحكواتي باللهجة المشرقية، وهذا الحكواتي هو« قاص ماهر يجيد الحكاية، ويشفع حكاياته وقصصه بمحاكاة الصفات والخصائص والأصوات، أي أنه يهدف بوساطة الإشارات والحركات التي يستخدمها في أثناء القص إلى إيضاح وتجسيم ما يريد أن يقوله، فكان عمله هذا صورة من صور التمثيل، لكن التمثيل كان يؤدى بوساطة ممثل واحد بلا مشاركة ممثلين آخرين»[18]، ولطالما استأثر هذا الشكل بحب الجماهير العربية لما يمنحهم من متعة عظيمة، وكانت مهنة الحكواتي هذه تؤدى في الأماكن العامة.

ولقد استأثرت شخصية الحلايقي أو القوال بقلوب فئات المجتمع المغاربي، لأنه ولزمن طويل كان معلما ومربيا ومناضلا، وحكيما ومحرضا وناقدا اجتماعيا، فشخصيته مميزة بل إنه « يمتلك أكثر من شخصية في مخاطبة الناس، فإلى جانب شخصيته الفنية المتمثلة في المهارات والأفعال الخارقة والجاذبة، وملكة التواصل وقوة التأثير وكفاءة اللعب بالكلمات، فهو يمتلك الشخصية المعرفية المتمثلة فيما يمتلكه من رصيد معرفي زاخر وأخبار طريفة، ومعلومات غزيرة ومواقف ونكت وحكايات مثيرة ومسلية وذاكرة قوية»[19].

وعلى الرغم من أن مسرح الحلقات هي الأسواق، وعلى الرغم من غياب تقنيات الفن المسرحي الحديث، فقد فلح الحكواتي أو الحلايقي من خلال ما يمتلكه من أدوات فنية متاحة له، هي حركاته وما يحفظه ويردده من كلمات منطوقة، في أن يؤثر على جمهور المستمعين ويجذب اهتمامهم.

وتقترب من هذه الشخصية شخصية أخرى هي شخصية المدّاح« وهو نوع من الحكواتية، تفرغوا للمديح، مديح الأنبياء والصالحين، له أثر طيب في إيقاظ الضمائر خاصة في الفترات المظلمة من حياة الأمة»[20].

ولعل الأشكال المسرحية المذكورة هي أهم ما عرفه العالم العربي واشترك فيه في مجال مسرح الفرجة.

خاتمة:

المسرح الفرجوي الشعبي هو وعاء للذاكرة الاجتماعية، وعدم المحافظة عليه وإحيائه هو فقدان للهوية.

يمكن اعتبار الفرجة شكلا فنيا فريدا من نوعها. لما يميزه من خصائص طقوسية وجمالية أو لغة شعرية، أو حركات تعبيرية رفيعة المستوى، أو عناصر فنية أخرى. تعرض أمام جمهور يتقاسم الذاكرة مع صانعي الفرجة.

لذا فالمطلوب في كل قطر عربي ضرورة إعادة الاعتبار للأشكال الفرجوية الشعبية حتى تتيح للمثلين تفجير طاقاتهم الإبداعية.

الإحالات والهوامش:

[1]_ أبو الحسن سلام، أشكال الفرجة الشعبية وعناصرها في المسرح العربي https://folkarts.ahlamontada.net/t185-topic 5 /2021/6 سا 20.25

[2]_ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج2، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص478.

[3]_ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية 2004، ص 426.

[4]__ لمنيعي حسن، المسرح مرة أخرى، سلسلة شراع، ع49، 1999.

[5]__ إبراهيم أحمد، الدراما والفرجة المسرحية، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر2006، ص 45.

[6]_ ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج2، ص341_343.

[7]_ سلام أبو حسن، أشكال الفرجة الشعبية وعناصرها في المسرح العربي، د ط، وزارة الثقافة، القاهرة 2006، ص49.

[8]_ المرجع نفسه، ص 49.

[9]_ المرجع نفسه، ص 56.

[10]_ المرجع نفسه، ص 57.

[11]_ أبو الحسن هيام، المسرح المصري القديم ومصادره، مجلة فصول، ع3، مج2، 1982، ص 6.

[12]_ مصطفى فائق، خيال الظل ودوره المسرحي قديما وحديثا، أوراق مؤتمر فيلادلفيا16(الثقافة الشعبية، دراسات في السرد والشعر والغناء)، د ط، منشورات جامعة فيلادلفيا، الأردن2012، ص 117.

[13]_ المرجع نفسه، ص 118.

[14]_المرجع نفسه، ص 117_118.

[15]_ عواد علي، غواية المتخيل المسرحي، مقاربات لشعرية النص والعرض والنقد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان1997، ص11.

[16]_ الحراق محمد شداق، مقدمات في نقد الثقافة الشعبية، الرأسمال اللامادي بين التنميط الفولكلوري والاستثمار التنموي (دراسة)، ط1، الراصد الوطني للنشر والقراءة، مطبعة الأخوين سيليكي، طنجة، المغرب 2016، ص 99.

[17]_ ينظر: المرجع نفسه، ص 99_ 104.

[18]_ مصطفى فائق، خيال الظل ودوره المسرحي، ص 116.

[19]_ الحراق محمد شداق، مقدمات في نقد الثقافة الشعبية، ص103_104.

[20]_ سليوة حميدة، الأشكال المسرحية في التراث العربي بين الطقس والقص، مجلة حوليات التراث، ع15، جامعة مستغانم2015، ص 148.

قائمة المصادر والمراجع:

أ_ الكتب:

1_ أحمد إبراهيم، الدراما والفرجة المسرحية، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر2006.

2_ أبو حسن سلام، أشكال الفرجة الشعبية وعناصرها في المسرح العربي، د ط، وزارة الثقافة، القاهرة 2006.

3_ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج2، د ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت.

4_علي عواد، غواية المتخيل المسرحي، مقاربات لشعرية النص والعرض والنقد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان1997.

5_ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية 2004.

6_ محمد شداق الحراق، مقدمات في نقد الثقافة الشعبية، الرأسمال اللامادي بين التنميط الفولكلوري والاستثمار التنموي (دراسة)، ط1، الراصد الوطني للنشر والقراءة، مطبعة الأخوين سيليكي، طنجة، المغرب 2016.

ب_ المجلات:

7_ حميدة سليوة، الأشكال المسرحية في التراث العربي بين الطقس والقص، مجلة حوليات التراث، ع15، جامعة مستغانم2015

8_ لمنيعي حسن، المسرح مرة أخرى، سلسلة شراع، ع49، 1999

9_ هيام أبو الحسن، المسرح المصري القديم ومصادره، مجلة فصول، ع3، مج2، 1982.

ج_ الملتقيات:

10_مصطفى فائق، خيال الظل ودوره المسرحي قديما وحديثا، أوراق مؤتمر فيلادلفيا16(الثقافة الشعبية، دراسات في السرد والشعر والغناء)، د ط، منشورات جامعة فيلادلفيا، الأردن2012

د_ المواقع الإلكترونية:

11_ أبو الحسن سلام، أشكال الفرجة الشعبية وعناصرها في المسرح العربي https://folkarts.ahlamontada.net/t185-topic5 /2021/5/ سا 20.25